الرسالتين:

البرهان في بيان الإحتفال بمولد سيد أولاد عدنان

ويليها :

ما حصل عند ولادته ﷺ من خوارق العادات والآيات البينات



الشيخ قاسم شيخ أحمد عثمان الشاشي


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي أنار العالم بميلاد المصطفى العدناني، سيد الأنبياء والمرسلين، الملهم للأمة مشروعيّة الإحتفال بالمولد، بقوله تعالى ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية، وأفصح من تكلم بالعربية، القائل لما سئل عن صيامه يوم الإثنين قال: (ذلك يوم ولدت فيه) وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني كنت ألقي دروسـاً من مباديء علم السيرة البنويّة لبعض الطلبة في المسجد آي أيداي منذ عشر سنوات في هذه الفترة وفي شهر ربيع الأول طلب مني بعض الطلبة أن أتكلم عن مشروعيّة الإحتفال بالمولد، ما دام الوقت مناسبًا لهذا، وأجبت طلبهم جبراً لخاطرهم، وكتبت بعض الوريقات في هذا الموضوع، **أولاً** تعرضت للكلام عن البدعة ليفهموا معناها طالما المعارضون يتكلمون دائمـاً بأن كل بدعة ضلالة، **ثانيـًا** تكلمت عن مشروعيّة الإحتفال بالمولد، جمعت فيها من الأدلة وأقوال العلماء ما تيسّرت لي، **وثالثـًا** بيّنت مشروعيّة القيام عند ذكر ميلاد المصطفى وجمعت فيها الأحاديث التي وردت بجواز القيام للغير، وأقوال العلماء فيها، ما قصدت بهذا تصنيف كتاب، ولا تأليف رسالة لعدم أهليّتي، وبعد سنة وفي مثل هذا الوقت طلبوا مني كذلك أن أتكلم أيضـاً عن مشروعيّة المولد كالسنة الماضية، خطر ببالي أن أكتب ما وقع عند ميلاده من خوارق للعادات، ثم تكلمت عمن بشّر به قبل بروزه لهذه العالم

كنبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾، وما وقع ليلة ولادته من الخوارق ، وبعض من شمائله، ليستأنس بذلك، وليثبت به فؤادهم، لأن سماع مثل هذا يثبت به الفؤاد، وتزداد به المحبة، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة، وبدونها لا يكون المؤمن مؤمنًا، مع أني لم أقصد بكتابة هذا تصنيفاً ولا تأليفاً، وبعد فترة من الزمن قرأت ما كتبت، فاستحسنته ثم خطر ببالي أن أجعله رسالتين لينتفع الناس بهما، وسميّت الرسالة الأولى بما سمّاها الأخ الحبيب السيد محمدجمعه محمد حسن الباز كاتب هذه الرسالة جزاه عنّا خير الجزاء **((البرهان في بيان الإحتفال بمولد سيّد أولاد عدنان))**.

وسميت الثانية **((ما حصل عند ولادته صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات والآيات البيّنات))**.

أسأل الله تعالى أن يجعلهما نافعتين لهم، وخالصتين لوجهه الكريم، وأن أؤجر في عملي هذا ، وأن يوفقني وإياكم صالح الأعمال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأنا الآن أشرع في المقصود، أقول وبالله التوفيق:




الرسالة الأولى

البرهان

في بيان الإحتفال بمولد

سيّد أولاد عدنان




البدعة:

هي الفعلة المخالفة للسنة، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام، وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي.

وهي لغة إحداث شيء لم يكن موجودا من قبل، ومنها اشتقت كلمة الإبداع واصطلاحا في الإسلام، كما عرّفها الشاطبي قال: هي طريقة في الدّين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله تعالى اهـ.

لحديث (إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُل مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُل بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) وحديث (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) وقال ابن رجب في شرحه (والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له شرعـًا وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة وإن كان بدعة لفظـًا) وكذلك قال (إن هذا الحديث يدل على منطوقه على أن كل عمل ليس أمر الشارع فهو مردود ، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود).

وقال الإمام الحافظ النووي شارح صحيح مسلم عن هذا الحديث (عام مخصوص والمراد بها المحدثات التي ليس لها في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري (هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه من اخترع في الدين بما لا يشهد له أصل من أصوله فلن يلتفت إليه) وروى الإمام البيهقي في مناقب الشافعي رضي الله عنه قال: (المحدثات ضربان: ما أحدث مما يخالف كتابـًا أو سنةً أو أثراً أو إجماعـًا فهي بدعة

الضــلالة وما أحدث من الخير لا يخالف شــيئاً من ذلك فهي محدثة غير مـذمـومـة) وهـو مـعـنـى قـولـه صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم (وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) يريد ما لم يوافق كتاباً أو سنةً أو عـمـل الصـحـابـة رضـي الله عـنـهـم وقـد بـيـن هـذا بـقـولـه: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ من غير أنْ ينقص من أُجورهم شـيءٌ وَمَنْ سَـنَّ سُـنَّةً سَـيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شيءٌ) وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسـن وهذا أصـل هذا الموضـوع ، بل وقد تقرر عند العوام فضلاً عن العلماء . من هذا الحديث المذكور ، أنه يسن للمسلم أن يأتي بسنة حسنة لها أصل في الشرع وإن لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل زيادة الخير والأجر ومعنى سن سنة: أي أنشأها باجتهاد واستنباط من قواعد الشرع أو عموم نصوصه ، لذلك قال النووي في هذا الحديث أن فيه الحث على الإبتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات، والتحذير من الأباطيل والمستقبحات.

مع العلم أخي أن كلمة (كل) تطلق على العموم ويراد بها الخصوص كقوله تعالى ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ مع ذلك لم يأخذ الملك السفينة التي خرقها الخضر عليه السلام وكقوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ومع ذلك فإنها لم تؤت ملك سليمان وكقوله سبحانه وتعالى ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ وهي لم تدمر السماوات والجبال والأرض. وجاء أيضاً في السنة كما في البخاري والموطأ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ) قال ابن عبدالبر في التمهيد ما

نصه ظاهر هذا الحديث وعمومه يجب أن يكونو بنو آدم سواء إلا أنه قد روى أن أجساد الأنبياء والشهداء لا تأكلها. لو تصفحنا كتاب الله وسنة نبيه لوجدنا هناك المئات من الآيات والأحاديث.

تقسيم علماء الحديث للبدعة وإليك أقوال العلماء في تقسيمهم للبدعة:

العالم الأول: العلامة وحيد عصره وحجة وقته الإمام الحافظ النووي رضي الله عنه قال: في صحيح مسلم ما نصه قول النبي (كل بدعة) هذا علم مخصوص المراد غالب البدع هي كل شيء عمل على غير مثال سابق وهي منقسمة إلى خمسة أقسام ، وقال أيضاً والمحدثات والمراد بها: ما أحدث وليس له أصل في الشرع يسمى في عرف الشرع بدعة وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس بدعة. فالبدعة في عرف الشرع مذمومة (هذا عام مخصوص).

العالم الثاني: ألا وهو أمير المؤمنين في الحديث الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري المجمع على جلالة قدره قال ما نصه (وكل ما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسن ومنها ما يكون خلاف ذلك).

العالم الثالث: وهو أبو نعيم حيث روى عن إبراهيم الجنيد فقال: سمعت الشافعي يقول: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم.

العالم الرابع: ألا وهو سلطان العلماء العز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه حيث قال في آخر كتابه (القواعد) ما نصه (البدعة منقسمة إلى واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة) ثم قال: (والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فواجبة وإن دخلت في

قواعد التحريم فمحرمة أو الندب مندوب أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة) انتهى كلامه رحمه الله.

فانظر بالله عليك يا أخي قول هؤلاء الأئمة وعلى رأسهم الإمام الجليل وغيره الذين لهم ثقلهم بين علماء المسلمين، قسموا البدعة إلى أقسامها الخمسة المذكورة آنفاً وقولهم في (كل بدعة ضلالة) فلربما فهم المعارضون من قول النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يفهموا العلماء والأئمة والحفاظ المحدثين كالإمام الشافعي وغيره قد استنبط العلماء والمفسرون بأن القرآن يؤيد البدعة الحسنة فلقد روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن الله فرض عليكم صوم رمضان ولم يفرض عليكم قيامه وإنما قيامه شيء أحدثتموه فدوموا عليه فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعًا فعابهم الله بتركها فقال تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ وقال الدار قطني: وما استنبطه الصحابي الجليل أبي أمامه رضي الله عنه صحيح فإن الآية لم تعب أولئك الناس على إبتداع الرهبانية لأنهم قصدوا بها رضوان الله بل عاتبهم على أنهم لم يراعوها حق رعايتها وهذا يفيد مشروعية البدعة الحسنة كما هو ظاهر من نص الآية وفهم الصحابي الجليل.

أفعال الصحابة لأمور لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، منها جمع القرآن، وصلاة التراويح، فصل مقام إبراهيم عن البيت، زيادة الأذان الأول في الجمعة وغيره.

ترك النبي للشيء لا تعني تحريمه: أن يكون تركه عادة كترك النبي صلى الله عليه وسلم أكل الضب في حديث سيدنا خالد أنه دخل مع النبي صلى الله عليه

وسلم بيت ميمونة فأتى بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله بيده ، فقيل هو الضب يا رسول الله فَرَفَعَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَدَهُ عَنِ الضَّبِّ، فقالَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ: أحَرامٌ الضَّبُّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: (لَا، ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ بأَرْضِ قَوْمِي، فأجِدُنِي أعافُهُ، قالَ خالِدٌ: فاجْتَرَرْتُهُ فأكَلْتُهُ ورَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَنْظُرُ إلَيَّ).

والحديث يدل على أمرين:

١- أن تركه للشيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدل على تحريمه.

٢- أن استقذاره الشيء لا يدل على تحريمه أيضـًا.

أن يكون تركه نسيانها صلى الله عليه وسلم في الصلاة فترك منها شيئـًا فسئل ما حدث في الصلاة شيئـًا قال: إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. أن يكون تركه مخافة أن يفرض كصلاة التراويح. أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه ولم يخطر في باله. مثل إحداث المنبر له. أن يكون تركه لدخوله في عمومم آيات أو أحاديث كتركه كثيراً عن المندوبات لأنها مشمولة في قوله تعالى ﴿وَافعَلُوا الْخيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أن يكون تركه خشية تغير قلوب بعض الصحابة. قال صلى الله عليه وسلم لعائشة (لَولا أنَّ قَومَكِ حديثُ عَهْدٍ بجاهليَّةٍ، لأمرتُ بالبَيتِ ، فَهُدِمَ فأدخلتُ فيهِ ما أُخْرِجَ منهُ وألزَقتُهُ بالأرضِ ، وجعلتُ لَهُ بابَينِ : بابًا شَرقيًّا ، وبابًا غَربيًّا ، فإنَّهم قد عجَزوا عن بنائِهِ، فبلَغتُ بِهِ أسَاسَ إبراهيمَ عليه السلام . والترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور يكون حجة في ذلك. قالت عائشة (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك العمل وفعله أحب إليه خشية أن يستن به الناس فيفرض عليهم وكان يحب ما خفف عليهم –إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

موضحاً لنا هذا الإشكال ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم الله فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. قال صلى الله عليه وسلم : (ما أمرتكم بأمر فأتو منه ما استطعتم و إذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه) . ولم يقل إذا تركت شيئا فاجتنبوه.

الإحتفال بالمولد:

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) وقال أيضـاً: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرحمة العظمى ، وقد أذن الله لنا بالفرح والسرور بمولد تلك الرحمة ، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ فقد قال السيوطي في تفسيره هذه الآية ناقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فضل الله العلم ورحمته محمد صلى الله عليه وسلم).

قال الله تعالى ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يظهر عن ذلك أن الحكمة في قصص الأنبياء عليهم السلام تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فنزول المائدة اعتبر عيداً لأهل الأرض للأولين

والآخرين ليظهروا فرحهم فما أحرانا أن نفرح بمولده صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة العظمى للعالمين.

إن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتفع به الكافر ، فقد جاء أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم إثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم . أخرجه البخاري وقال إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري رحمه الله تعالى في كتابه (عرف التعريف بالمولد الشريف) (قَدْ رُؤِيَ أبو لهب بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَالُكَ، فَقَالَ: فِي النَّارِ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ لَيْلَةِ اثْنَيْنِ بِإِعْتَاقِي لثويبة عِنْدَمَا بَشَّرَتْنِي بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ) فَإِذَا كَانَ أبو لهب الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ يخفف عنه العذاب كل ليلة إثنين بسبب فرحه بمولد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدِ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إنه سيكون له أجر عظيم عند الله عزّ وجلّ ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي:

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ   وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدَا

أَتَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ دَائِمًا   يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ بِأَحْمَدَا

فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي طُولَ عُمْرِهِ   بِأَحْمَدَ مَسْرُورًا وَمَاتَ مُوَحِّدَا

وأنه صلى الله عليه وسلم كان يعظم يوم مولده ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه، كما جاء في الحديث عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين فقال: (فيه ولدت وفيه أنزل عليّ) رواه مسلم.

وهذا في معنى الإحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك صياماً أو إطعام طعام أو إجتماع على ذكر أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو سماع شمائله الشريفة . وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ إرتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التى مضت وانقضت فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها وقد أصّل النبي هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: أنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكراً لله على هذه النعمة فقال صلى الله عليه وسلم (نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه).

وَعَنْ أَنَسٍ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ» مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ جَدَّهُ عبد المطلب عَقَّ عَنْهُ فِي سَابِعِ وِلَادَتِهِ، وَالْعَقِيقَةُ لَا تُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارٌ لِلشُّكْرِ عَلَى إِيجَادِ اللهِ إِيَّاهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه ، وفيه خلق آدم تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين .

ويكون الفرح والسرور أحيانـاً ذكرى إحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين ببيت

لـــحـــم ثُـــمَّ قَـــالَ لَـــهُ: (أَتَـــدْرِي أَيْـــنَ صَـــلَّـــيْـــتَ؟ قَـــالَ: لَا قَالَ صَـــلَّيْتَ بِبَيْتِ اللَّحْمِ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَـــى). واســـتدل العلامة المحدث محمد بن مســعود الكـازرونى بمـا رواه فى كتـابـه «المنتقى فى مولـد النبى المصـطفى» من أن عبد المطلب كان حال ولادته صـلى اللّه عليه و سـلم فى فناء البيت الحرام فرآه يتمايل على مقام إبراهيم، و سـمع هاتفا يكبّر فى جوفه و يهتف بمقال منه: «هذا محمد نبيى و صفيى» إلى أن قال: «اشهدوا ملائكتى أنى قد فتحت له خزائنى، فاتخذوا يومه الذى ولد فيه عيدا إلى يوم القيامة».

وأن مولده صلى الله عليه وسلم عيد للإسلام وأي عيد يشمل القريب من أمته والبعيدة وأي نعمة أعظم من ظهور هذا النبي الكريم في هذا الوقت العظيم. فوجب علينا تذكر أيام نعم الله وأيام نقمه ، وإن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد، وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الذي ذكره أبونعيم قال: ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) وإن معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام وزيادة في المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل خُلقًا وخَلقًا ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعـاً فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك .وثبت أن أبا عبدالله بن أبي محمد النعمان يقول سمعت الشيخ أبا موسى الزرهوني يقول: رأيت النبي في المنام فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد. فقال صلى الله عليه وسلم (من فرح بنا فرحنا به).

وإن الإحتفال بالمولد إحياء لذكرى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك مشروع عندنا في الإسلام ، فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكريات معمورة ومواقف محمودة فالسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والذبح بمنى كلها حوادث ماضية سابقة يحيي المسلمون ذكراها بتجديد صورتها في الواقع.

قال سبط ابن الجوزي رحمة الله تعالى في مرآة الزمان حكى من حضر سماط الظفر في بعض الموالد أنه عدّ في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم شوي وعشرة آلاف دجاجة مائة ألف قرص ومائة ألف زبدية أي من الطعام وثلاثين ألف صحن حلوى. قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم وكان يصرف في المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار.

أقوال العلماء في عمل المولد:

١- الإمام الحجة الحافظ السيوطي: عقد الإمام الحافظ السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) باباً سماه (باب حسن المقصد في عمل المولد) ص ١٨٩ قال في أوله: وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول، ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل محمود أو مذموم؟ وهل يثاب على فعله؟ والجواب عندي: (أن أصل عمل المولد الذي هو إجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن، والأخبار الواردة في بداية أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع له من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة هو من البدع

الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي وإظهار الفرح بمولده الشريف) قال أيضا: (يستحب لنا إظهار الشكر بمولد النبي صلى الله عليه وسلم والإجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات) وقال أيضـاً: (ما من بيت أو محل أو مسجد قريء فيه مولد النبي إلا حفت الملائكة أهل ذلك المكان وعمهم الله تعالى بالرحمة والرضوان) انظر الوسائل في شرح المسائل.

٢- وقد قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله (والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له من البدع الحسنة).

٣- قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي رحمهما الله (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبته وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكراً لله على ما منّ به من إيجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين.

٤- الإمام الحافظ السخاوي (لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن يعملون المولد ويتصدقون في أيامه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم) وقد ألف السخاوي رسالة في المولد النبوي الشريف سماها (الفخر العلوي في المولد النبوي).

٥- قال ابن الجوزي رحمه الله (من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة في نيل البغية والمرام).

٦- قال ابن الحاج رحمه الله (فكان يجب علينا أن نزداد يوم الإثنين الثاني عشرة من ربيع الأول من العبادات والخير شكراً للمولى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة وأعظمها ميلاد المصطفى) المدخل (١/ ٣٦١).

٧- قال الشيخ أحمد زيني دحلان رحمه الله (ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد) الدرر السنية ص ١٩٠

٨- وقال الحافظ العراقي رحمه الله (إن إتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت ، فكيف إذا إنضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبي النبي في هذا الشهر الشريف لا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها كم من بدعة مستحبة بل قد تكون واجبة) شرح المواهب اللدنية للزرقاني – وقد ألف كتاباً (المورد الهني في المولد السني) .

٩- قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا ، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى. فيستفاد منه الشكر لله تعالى على ما منّ به في يوم معين عن إسداء نعمة ودفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام

والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية المحركة للقلوب إلى فعل خير. الفتاوى الكبرى.

١٠- الإمام العلامة ابن عابدين فقد قال في شرحه على مولد ابن حجر ما نصه (إعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف من الشهر الذي ولد فيه) وقال أيضاً: في الإجتماع لسماع قصة صاحب المعجزات عليه أفضل السلام من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المعجزات وكثرة الصلوات.

١١- وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر رحمه الله (إن إحياء ليلة المولد الشريف وليالي هذا الشهر الكريم الذي أشرق النور المحمدي إنما يكون بذكر الله تعالى وشكره لما أنعم به على هذه الأمة من ظهور خير الخلق إلى عالم الوجود، ولا يكون ذلك إلا في أدب وخشوع وبعد عن المحرمات والبدع والمنكرات، ومن مظاهر الشكر على حبه مواساة المحتاجين بما يخفف ضائقتهم وصلة الأرحام، والإحياء بهذه الطريقة وإن لم يكن مأثور في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح إلا أنه لا بأس به وسنة حسنة) فتاوى الشرعية (١/ ٢٣١).

١٢- قال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله (وإكراماً لهذا المولد الكريم فإنه يحق لنا أن نظهر معالم الفرح والإبتهاج بهذه الذكرى الحبيبة لقلوبنا كل عام وذلك بالإحتفال بها من وقتها). على مائدة الفكر الإسلامي ص ٢٩٥.

١٣- قال المبشر الطرازي رحمه الله (إن الإحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف أصبح واجباً أساسياً لمواجهة ما استجد من الإحتفالات الضارة في هذه الأيام.(شيخ الإسلام السابق في تركستان).

١٤- قال الإمام الشهاب القسطلاني في كتاب (المواهب اللدنية ص ١٤٨) ما نصه (فرحم الله إمرءًا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وإعياء داء).

وهذا هو شيخهم ابن تيمية قال في كتابه إقتضاء الصراط المستقيم (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

[**ملاحظة**] نلاحظ من هذه الأدلة وأقوال العلماء أن الإحتفال بالمولد واجب من باب لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. لأن إجتماع الناس وقراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وشمائله مما يستدعي محبته صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم الإيمان إلا به. لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ولحديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله. لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الآن يا عمر) رواه البخاري.

العلماء المصنفون في مشروعية الإحتفال بالمولد:

١- صنف الحافظ ابن كثير مولد نبويا كما ينقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة).

٢- الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر عبدالله القيسي الدمشقي المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي حيث ألف كتاباً في المولد الشريف سماها (جامع الآثار في مولد النبي المختار) و (اللفظ اللائق في مولد خير الخلائق) وكذلك (مورد الصادي في مولد الهادي).

٣- الإمام المحدث الحافظ الفقيه ملا علي قاري – قد ألف كتاباً في المولد النبوي سماه (المورد الروي في المولد النبوي).

٤- الإمام العالم بن دحية وسمى كتابه (التنوير في مولد البشير النذير).

٥- شيخ الإسلام وإمام القراءات في عصره الحافظ المحدث الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالله الجوزي وسمى كتابه (عرف التعريف بالمولد الشريف).

٦- القاضي أحمد بن محمد العزفي اللحمي وسمى كتابه (الدر المنظم بمولد النبي الأعظم) مات قبل إكماله فأكمله ولده القاضي محمد.

٧- الإمام الحافظ المناوي (مولد المناوي).

٨- العلامة أبوالوفاء الحسيني والذي ألف رسالة في المولد سماه (مولد البشير النذير السراج المنير) طبع عام ١٣٠٧هـ.

٩- الشيخ العلامة عطية إبراهيم الشيباني الزبيدي وسمى كتابه (مولد المصطفى العدناني).

١٠- الإمام عبدالغني النابلسي وسمى كتابه (العلم الأحمدي في المولد المحمدي).

١١- السيد العلامة جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة وسمى كتابه (عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر).

١٢- العلامة الفقيه السيد علي زين العابدين السمهودي الحسني مؤرخ المدينة المنورة سمى كتابه (المورد الهنية في مولد خير البرية).

١٣- العلامة الحجة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي مفتي الشافعية بمكة المكرمة وسمى كتابه (إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم) وهذا الكتاب له حاشية سمى (تحفة البشر على مولد ابن حجر) للإمام إبراهيم الباجوري.

١٤- الإمام الحافظ الشريف محمد بن جعفر الكتاني الحسني وسمى كتابه (اليمن والإسعاد بمولد خير العباد).

١٥- الشيخ علي سليم الطنطاوي وسمى كتابه (نور الصفا في مولد المصطفى).

١٦- الشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية وسمى كتابه (التجليات الخفية في مولد خير البرية).

١٧- والدي شيخ المشايخ الشيخ محمد (المشهور بالشيخ أَبَّا) بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمود بن عبدالرحمن الشاشي المقدشي رحمه الله عنده رساله في مشروعية المولد.

١٨- الشيخ أبي محمد عبدالرحمن بن الشيخ عمر العلي الصومالي القادري وصلنا كتابه (مولد التقريب إلى الله تعالى وإلى حبيبه المصطفي).

١٩- الشيخ عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود حدك الشافعي الصومالي سمى كتابه (اللآلئ السنية في مشروعية مولد خير البرية صلى الله عليه وسلم) وغيرهم من مشايخ الصومال لا يحصى عددهم الذين صنفوا بهذا الموضوع

أدلة القيام:

قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال أيضاً ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

فإذا كان تعظيم شعائر الله – وهي البدن المهداة للبيت المعظم – من التقوى وكمال الإيمان فالأولى تعظيم المؤمن الذي هو أفضل من الحرم ، بل أفضل من الكعبة ، قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مخاطباً الكعبة (مَا أَعْظَمَكِ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَلَلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ). ومن وجوه تعظيم المؤمن القيام له من السنة الشريفة: عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قريباً منه ، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا لسيدكم) أخرجه البخاري ، وفي الأدب المفرد ، ومسلم، وأبو داود ، وأحمد وغيرهم ، عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال فيه بعد كلام طويل : (فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بالتَّوْبَةِ ويقولونَ: لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عليه وَسَلَّمَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي) البخاري ومسلم.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا -وَقَالَ الْحَسَنُ :حَدِيثًا، وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَسَنُ السَّمْتَ، وَالْهَدْيَ، وَالدَّلَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا كَانَتْ "إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا) أخرجه البخاري الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِي ، فَقَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ) أخرجه الترمذي.

أخرجه مالك في قصة سيدنا عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أنه لما فرّ إلى اليمن يوم الفتح ورحلت إمرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلماً فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم وثب إليه ورمى عليه رداءه)

وفي قصة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه لما قدم من الحبشة قام له النبي صلى الله عليه وسلم وقبل عينيه والتزمه وقال: (مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أُسَرّ :بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بقدوم جَعْفَر) سيرة ابن هشام ص ١٥٩.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثتني أمي أم الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى العباس قادما فقام إليه وقبل ما بين عينيه وأقامه عن يمينه ثم قال: (هَذا عَمِّي فَمَن شَاءَ فَليُبَاهِ بِعَمِّه) أخرجه ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد.

وعن سيدنا عمر بن السائب أنه بلغه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ جَالِسًا يَوْمًا فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْض ثَوْبِهِ فقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ) أخرجه أبو داود مرسلا يجوز الإحتجاج عند أكثر الفقهاء.

فائدة: قال حسان بن ثابت رضى الله عنه يصف طلعة الحبيب المصطفى:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني ... وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كُلِّ عَيبٍ ... كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

ولقد نظر يومًا إلى رسول الله وهو مقبل وكأن وجهه الشمس، واصطف الصحابة قيامًا لما أقبل لما فيه من الهيبة والجمال فقال رسول الله: اجلسوا، اجلسوا.. لا تقوموا لى .. من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار. وليس فى هذا تحريم بأن نقوم لمن يستحقوا القيام لكن فى هذا تحذير من أن يحب الإنسان فى قلبه أن يقوم له الآخرون، وأن يوقره الآخرون .بدليل ما يأتى فى تكملة القصة من أن الصحابة جلسوا امتثالاً لأمره صلى الله عليه وآله وسلم. وقام حسان ولم يجلس، فلما وصل إليهم رسول الله قال: ياحسان، ما منعك أن تجلس حيث أمرتكم . فأنشد قائلاً:

قِيَامِي لِلْعَــزِيزِ عَلَيَّ فَرْضٌ وَتَرْكُ الْفَرْضِ مَا هُوَ مُسْتَقِيمُ
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ وَفَهْمٌ يَرَى هَــذَا الْجَمَالَ وَلَا يَقُومُ

فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم وأقر حسان بن ثابت على ذلك.

من أقوال شراح الحديث وأصحاب السيّر:

- قال البدر العيني في (عمدة القاريء) عند شرحه لحديث أبي سعيد (قوموا لسيدكم) قال الخطابي: في حديث الباب (قوموا لسيدكم) جواز إطلاق السيد على الحبر الفاضل وفيه أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل، والإمام العادل، والمتعلم للعالم مستحب).
- قال البيهقي: القيام على وجه البر والإكرام جائز ، كقيام الأنصار لسعد، وطلحة لكعب، ولا ينبغي لمن يقام له أن يعتقد استحقاقه.
- وقال المناوي في كتابه (فيض القدير) في شرح الحديث السابق (قوموا) خطاباً للأنصار ولجميع من حضر منهم ومن المهاجرين (إلى سيدكم) سعد بن معاذ القادم عليكم لما له من الشرف المقتضي للتعظيم ، وقد قام المصطفى لعكرمة بن أبي جهل لكونه من رؤساء قريش، ولعدي بن حاتم لكونه سيد بني طيء يتألفهما به انتهى كلام المناوي (فيض القدير ٤/ ٥٣٠).
- وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي تعليقاً على هذا الحديث وقد قال عامة العلماء بهذا الحديث وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً.
- يقول الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث فيه إكرام لأهل الفضل وتلقيهم بالقيام ، وقال القاضي (وليس هذا القيام المنهي عنه).

من أقوال السلف الصالح:

وعن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه أتاه أبو إبراهيم الزهري فسلّم عليه، فلما رآه أحمد وثب قائماً وأكرمه ، فلما مضى قال له ابنه عبدالله: يا أبت أبو إبراهيم شاب وتقوم إليه؟ فقال: يا بني لا تعارض في مثل هذا ألا أقوم لإبن عبدالرحمن بن عوف.

من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة:

المذهب الشافعي: قال العلامة الشربيني في كتابه (مغنى المحتاج) ويسن القيام لأهل الفضل من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك قال في الروضة وقد ثبت فيه الأحاديث الصحيحة. مغنى المحتاج (٣/ ١٣٥). قال العلامة الباجوري في حاشيته (ويسن القيام لأهل الفضل إكراماً لا رياء وتفخيماً بخلاف غير أهل الفضل فلا يطلب القيام لهم).

المذهب الحنفي: قال العلامة ابن عابدين قال في القنية: قيام الجالس في المسجد لمن دخل عليه تعظيماً، وقيام قاريء القرآن لمن يجيء تعظيماً لا يكره إذا كان ممن يستحق التعظيم. في مشكل الآثار (القيام لغيره ليس بمكروه لعينه ، إنما المكروه محبة القيام لمن يقام له، وما ورد في التوعد عليه، في حق من يحب القيام بين يديه كما يفعله الترك والأعاجم). حاشية حاشية ابن عابدين ٥/ ٢٥٤.

المذهب المالكي: قال القرافي في كتابه الفروق (إعلم أن الذي يباح من إكرام الناس قسمان: القسم الأول: ما ورد في الشرع من إفشاء السلام وإطعام

الطعام. القسم الثاني: ما لم يرد في النصوص ولا كان في السلف لأنه لم تكن أسباب إعتباره موجودة حينئذ وتجددت في عصرنا: فتعين فعلها لتجدد أسبابه لأنه شرع مستأنف وتأخر الحكم لتأخر سببه ووقوعه عند وقوع سببه لا يقتضي تجديد شرع، وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للداخل من الأعيان وإحناء الرأس له. وهو جائز مأمور به مع كونه بدعة ، ولقد حضرت يوماً عند الشيخ عزالدين بن عبدالسلام ، وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والقيام بمصالح المسلمين خاصة وعامة ، والثبات في الكتاب والسنة لا تأخذه في الله لومة لائم فقدمت إليه فتيا فيها: ما تقول أئمة الدين وفقهم الله في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف ، هل يجوز أم لا يجوز أو يحرم؟ فكتب إليه في الفتيا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تبغاضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي. وترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة ، فلو قيل بوجوبه ما كان بعيداً. (الفروق للقرافي ٥/ ٢٥٠).

المذهب الحنبلي: قال ابن قدامه في كتابه مختصر منهاج القاصدين: القيام على ضربين:

١- القيام على رأسه وهو قاعد فهذا منهي عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وغيرهم وهذا عادة الأعاجم والمتكبرين.

٢- قيام عند مجيء الإنسان فقد كان السلف لا يكادون يفعلون ذلك وقد قال العلماء : يستحب القيام للوالدين والإمام العادل وفضلاء الناس ، وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يفعل في حقه، لم يأمن أن ينسبه إلى إهانته والتقصير في حقه فيوجب هذا حقداً ص ٢٥١

أما القيام في المولد: يظن بعض من يحضر المولد النبوي ويقوم مع القائمين أن الناس يقومون معتقدين أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف حقيقة، وأن البخور والطيب الذي يوضع هو له، فهذه الظنون باطلة لا أصل لها. نعم نحن نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه ، وأن روحه جوالة في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تحضر مجالس الخير، وكذلك أرواح الأولياء والصالحين من أتباعه، وقد قال مالك: (بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت) وقال سلمان الفارسي: (أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت) الروح لابن القيم ص ١٤٤

وأن القيام في المولد ليس سنة ولا واجباً وإنما هي حركة جرت عادة الناس بها واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم، يقول البرزنجي ما نصه: هذا وقد استحسن القيام إلى آخره. قد استحسن جماعة من الأئمة الأعلام للقيام لشريف مولد سيد الأنام عليه من الله العظيم وجرت العادة بأنه إذا ساق الوعاظ والمداح بمولده صلى الله عليه وسلم وذكر وضع أمه له قام أكثر الناس عند ذلك تعظيماً له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها ، لكنها بدعة حسنة لأجل التعظيم ولذا قيل بندبها وما أحسن قول الإمام البديع أبي زكريا

يحيى الصرصري الحنبلي رحمه الله في بعض قصائده النبوية:

قليلٌ لِمَدْحِ الْمُصْـطَفَى الْخَطُّ بِالذَّهَبْ   على وَرِقٍ مِن كَفِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ

وأَنْ تَنْهَضَ الأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِـه   قِيَامًا صُفُوفًا أَوْ جُثِيًّا عَلَى الرُّكَـ...ـبْ

أَمَا اللهُ تَعْظِيمًا لَهُ كَتَبَ اسْـمَـــهُ   عَلَى عَرْشِهِ؟ يا رُتْبَةً سَمَتِ الرُّتَـبْ!

وقد اتفق أن منشداً أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الإسلام بقية المجتهدين الأعلام تقي الدين السبكي رحمه الله وكان القضاة والأعيان مجتمعين عنده فلما وصل المنشد إلى قوله: أن تنهض الأشراف إلى آخر البيت، نهض الشيخ في الحال قائمـًا على قدميه امتثالاً لما ذكره الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت ساعة تجل عظيمة ذكر ذلك ولده التاج السبكي في ترجمته عن طبقاته وقال بعضهم ويكفي ذلك في الإقتداء والعمل بعمله فإنه كان من كبار الأئمة وأساطين الأمة ففعل مثله حجة، وما رآه المسلمون حسنة الحديث: والقاعدة: أصل الشيء الإباحة إن لم يرد الدليل على حرمته.



الرسالة الثانية

ما حصل عند ولادته ﷺ من خوارق العادات والآيات البيّنات



ذكر من بشّر به قبل مولده:

قال العلماء وقد بشر به صلى الله عليه وسلم جميع النبيين عليهم الصلاة والسلام عمومـاً. قال الله تبارك وتعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية. روى علماء التفسير في معناها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ، ما بعث الله نبيـاً من لدن آدم إلا أخذ الله عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه) إعلامـاً لهم بعلو قدره.

وبشر به عيسى عليه الصلاة والسلام خصوصـاً، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية. وممن بشر به من غير النبيين جده كعب بن لؤي، قال علماء السير: كان كعب بن لؤي متمسكـاً بدين إبراهيم عليه السلام مصدقـاً ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام وهو الذي سمى يوم الجمعة جمعه وكانت تسميه العرب – العروبة- لأنه كان يجمع الناس في يومها بعد الزوال، يخطبهم ويعظهم ويبشرهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم ، ويقول: يا أيها الناس الدار والله أمامكم والظن خلاف ظنكم، فزينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج له نبي كريم.

وممن بشر به تبع أسعد الكامل الملك الحميري(أراد أهل المدينة بسوء مكيدة كاده بها بعض أعدائه ليهلكه فأخبره الأحبار أنها دار هجرة محمد عليه الصلاة والسلام المبعوث في آخر الزمان، فانصرف عنهم، ثم قرأ التوراة وترى فيها صفة محمد عليه الصلاة والسلام، فصدق بمبعثه وكان يقول:

شَـــهِـدْتُ عَـلَـى أَحْـمَـدَ أَنَّـهُ   رَسُـــولٌ مِنَ اللهِ بَـارِي النَّسَـــمْ
فَـلَـو مُـدَّ عُـمْـرِي إلـى عُـمْـرِهِ   لَـكُـنْـتُ وَزيـراً لـهُ وابـنُ عَـمْ

ولما أراد الله إبرازه نقله من صلب أبيه إلى رحم أمه آمنة ولما استقرت نطفته الزكية في صدفة آمنة ظهر لحمله عجائب فذكروا (نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت أن عطروا جوامع القدس الأسنى وبخروا جهات الشرف الأعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفاء لصوفية الملائكة المقرّبين أهل الصدق والوفاء فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لأنها أفضل قومها نسباً وحسباً).

وقال سهل بن عبدالله التستري: لما أراد الله تعالى خلق محمد صلّى الله عليه وسلم فى بطن أمه آمنة ليلة رجب – أول رجب- وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ، ونادى مناد فى السموات والارض ألا إنّ النور المخزون الذى يكون منه النبىّ الهادى فى هذه الليلة يستقرّ فى بطن أمّه الذى فيه يتمّ خلقه ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. ولذا قال صاحب البرزنجي مشيراً على هذا المعنى: وَلَمَّا أَرَادَ اللّٰهُ تَعَالٰى إِبْرَازَ حَقِيْقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَإِظْهَارَهُ جِسْمًا وَرُوْحًا بِصُوْرَتِهِ وَمَعْنَاهُ، نَقَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ مِنْ صَدَفَةِ آمِنَةَ الزُّهْرِيَّةِ وَخَصَّهَا الْقَرِيْبُ الْمُجِيْبُ بِأَنْ تَكُوْنَ أُمًّا لِمُصْطَفَاهُ وَنُوْدِيَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَمْلِهَا لِأَنْوَارِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَصَبَا كُلُّ صَبٍّ لِهُبُوْبِ نَسِيْمِ صَبَاهُ. ولما استقرت نطفته الكريمة فيها

اعشوشبت الأرض واخضرت عشبها وازدهرت رياضها ببركة هذا المولود المبارك بعد طول جدبها ونضجت الثمار وأصبحت الأصنام منكوسة وتكلمت الدبائح للأنصاب ودواب قريش كلاماً عربياً فصيحاً لما صار باطلا لأنها أقرت ببطلان تقربهم بها إلى الله وأن الدين الذي جاء به هذا النبي حقاً. إذ ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع من عجل قربه رجل ليذبحه قرباناً لصنم فقال: يا آل ذريح أمر نجيح رجل نصيح يقول لا إله إلا الله . وما روى عن بن عباس رضي الله عنهما قال: من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل بمحمد صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها.

وأشار البرزنجي إلى هذا المعنى أيضاً: وَكُسِيَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ طُوْلِ جَدْبِهَا مِنَ النَّبَاتِ حُلَلًا سُنْدُسِيَّةً وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَأَدْنَى الشَّجَرُ لِلْجَانِيْ جَنَاهُ وَنَطَقَتْ بِحَمْلِهِ كُلُّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ بِفِصَاحِ الْأَلْسُنِ الْعَرَبِيَّةِ، وَخَرَّتِ الْأَسِرَّةُ وَالْأَصْنَامُ عَلَى الْوُجُوْهِ وَالْأَفْوَاهِ.

وأشار إلى هذا المعنى جدنا شيخ عبدالرحمن صوفي في لاميته قال:

قَدْ أَفْصَــحَتْ حَمْلَهَا بِهِ دَوَابُّ قُرَيْـ ـــــشٍ وَالذَّبَائِحُ لِلْأَنْصــابِ مَا بَطَلَا

هَواتِفُ الجَانِّ والأَصْـنَامُ والصُّــوَرُ أَخْبَرْنَ أَنْ حَـانَ مَبْعَـثُ الَّـذِي بُـذِلَا

خَرَّتْ عَلَى وَجْهِهَا الأَصْــنَامُ مُذْعِنَةً وَأَيْنَعَ الثَّمْرُ والأَرْضُ اكْتَسَـتْ حُلَلَا

ومما روي: لما استقرت هذه النطفة الطاهرة الذكية فيها: تباشرت الوحوش في البر والحيتان في البحر بحمله عليه الصلاة والسلام والمراد أن جميع ما يعيش في الأرض براً وبحراً من إنسان أو حيوان في مشارق الأرض ومغاربها

تباشرت بحمله صلى الله عليه وسلم (وأخبرت هواتف الجان والأصنام والصور بقرب مبعث محمد) كماروى ابن عباس رضى الله عنهما: وذكرنا بعضه سابقـاً مرت وحوش المشارق إلى وحوش المغارب تبشر بالبشارات وكذا بشر أهل البحار بعضهم بعضا.

وانتزعت الكهان الكهانة وخافت الرهبان وتركت الرهبانية، بطلوع هذا البدر المنتظر. كما قال صاحب البرزنجي مشيراً على المعنى: وَتَبَاشَرَتْ وُحُوْشُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَدَوَابُّهَا الْبَحْرِيَّةُ، وَاحْتَسَتِ الْعَوَالِمُ مِنَ السُّرُوْرِ كَأْسَ حُمَيَّاهُ وَبَشَّرَتِ الْجِنُّ بِإِظْلَالِ زَمَنِهِ وَانْتُهِكَتِ الْكَهَانَةُ وَرَهِبَتِ الرَّهْبَانِيَّةُ.

كما قال والدنا الشيخ عبدالرحمن صوفي مشيراً لهذا المعنى:

هَواتِفُ الجَانِّ والأَصْنَامُ والصُّوَرُ ... أَخْبَرْنَ أَنْ حَانَ مَبْعَثُ الَّذِي بُذِلَا

خَرَّتْ عَلَى وَجْهِهَا الأَصْنَامُ مُذْعِنَةً ... وَأَيْنَعَ الثَّمْرُ والأَرْضُ اكْتَسَتْ حُلَلَا

وا سْتَبْشَرَ الوَحْشُ والْحِيتَانُ والْبَشَرُ ... أَخْصَبَتِ الأَرْضُ بَعْدَ جَدْبِهَا وَغَلَا

وتحدث بخبره كل حبر عارف بأخبار ظهوره صلى الله عليه وسلم من الكتب السماوية القديمة:

وروى أن راهبـاً كان بمر الظهران موضع مرحلة من مكة يسمى الآن بوادي فاطمة يقول: يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود إسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه وكان لا يولد بمكة مولود إلا سأل عنه، فجاء عبدالمطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: كن أباه، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه فما سميته؟ قال: محمد .

وأخرج أبونعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت أبا مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يومـاً لا تحدث فيهم فسمعت يُوشَعَ الْيَهُودِيَّ يَقُولُ: قد أَظَلَّ خُرُوجُ نَبِيٍّ يُقَالَ لَهُ أَحْمَدُ يُخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ فقيل له: مَا صِفَتُهُ؟ قال: لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ وذكر بعض صفاته. كما أشار أيضـاً صاحب البرزنجي بقوله: ولهج بخبره كل حبر خيبر ولما حملت آمنة بالنبي أتى إليها آت وهي بين النائمة واليقظانة وبشرها بأنها حملت بخير العالمين –كما في رواية : أنها كانت تقول أتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة وبشرها بأنها حملت بسيد الأنام.

كما قال جدنا شيخ عبدالرحمن صوفي في لاميته:

فِي حَمْلِهَا قَدْ أَتَى آتٍ وَبَشَّرَهَا بِحَمْلِهَا لنَبِيٍ خَيْرِ أَهْلِ عُلَا

وأشار لنا صاحب البرزنجي أيضـاً لهذا المعنى: وأتيت أمه في المنام فقيل لها إنك قد حملت بسيد العالمين وخير البرية إلخ.

وكانت في وقت حملها له إذا أرادت أن تستقي من بئر أو حوض أو نهر يرفع لها الماء لتقضي حاجتها بسهولة من غير مشقة وذلك ببركة ما تحمله في بطنها إذ هو أكرم الخلق على الله، وقد جاء في الخبر أن آمنة لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ترى الطيور عاكفة عليها يتبركون بها إجلالاً وإعظامـاً لرسول الله فأخبرت زوجها بذلك فقال: هذه كرامة للمولود الذي في بطنك.

وأشار لنا هذا المعنى والدنا الشيخ عبدالرحمن صوفي في لاميته فقال:

كَـانَـتْ إِذَا تَسْـتَقِي فَـالْمَـاءُ يَرْتَفِعُ   لَهَـا فَتَقْضِـي وَمَـا رَأَتْ لَـهُ ثِقَلَا

أي ما رأت للنبي آثار ثقل. لما روى محمد بن عمر الواقدي عن عبدالله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت: كنا نسمع أن آمنة كانت تقول: ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي وربما كانت ترتفع وتعود.

ورد في بعض الخبر أن آمنة أتاها في المنام أول شهر من حملها له نبي الله آدم عليه السلام وفي شهرها الثاني أتاها نبي الله إدريس عليه السلام وفي شهرها الثالث أتاها نبي الله نوح عليه السلام وفي شهرها الرابع نبي الله إبراهيم عليه السلام وفي شهرها الخامس أتاها نبي الله إسماعيل عليه السلام وفي السادس أتاها نبي الله موسى عليه السلام وفي شهرها السابع أتاها نبي الله عيسى المسيح عليه السلام ، كلهم أتوا مهنئين ومبشرين بحمل سيد المرسلين وأفضلهم وخيرهم وأكرمهم.

مولده صلى الله عليه وسلم:

ولما كمل من أيام حمل أمه به صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر على القول الراجح وحان الزمان المعهود على الولادة النبوية ، حضر أمه ليلة يوم ولادته – إذ الصحيح ولد نهاراً – آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران مع نساء من الحور العين نزلن من الجنة وفي صبيحة هذه الليلة أخذها المخاض فوضعته ضياء لامعـًا أي يلمع ضوءه.

كما تحدثت عن نفسها تقول: أخذني في يوم الإثنين ما يأخذ النساء من الألم ولم يعلم بي أحد من قرابتي ، وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه غائب عني فسمعت وجبة عظيمة و أمرا شديدا فهالني ذلك فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الروع من كل وجع كنت أجده، ثم التفت فإذا بشربة بيضاء فيها لبن، وكنت عطشانة ، فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة على النخل طوالاً كأنهن بنات عبد مناف يحدقن بي، فبينما أتعجب وأقول: يا غوثاه من أين علمن بي؟ وفي رواية (فقلن: نحن آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وهؤلاء من الحور العين) فاشتد الأمر وإني أسمع الوجبة كل ساعة أعظم وأكبر وأهول مما تقدم، فبينما كذلك إذ بديباج أبيض قد مدّ بين السماء والأرض وإذ قائل يقول: خذوه عن أعين الناس قَالَتْ: وَرَأَيْتُ رِجَالًا قَدْ وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ فِضَّةٍ ، وَأَنَا يَرْشَحُ مِنِّي عَرَقٌ كَالْجُمَانِ ، أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، وَأَنَا أَقُولُ: يَا لَيْتَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَنِّي نَاءٍ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ قِطْعَةً مِنَ الطَّيْرِ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ حَيْثُ لَا أَشْعُرُ، حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتِي، مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرُّدِ ، وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْيَوَاقِيتِ ، فَكَشَفَ لِي عَنْ بَصَرِي، فَأَبْصَرْتُ سَاعَتِي مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَرَأَيْتُ ثَلَاثَ أَعْلَامٍ مَضْرُوبَاتٍ : عَلَمٌ فِي الْمَشْرِقِ وَعَلَمٌ فِي الْمَغْرِبِ وَعَلَمٌ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، وَأَخَذَنِي الْمَخَاضُ وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ جِدًّا، وكَأَنِّي مُسْتَنِدَةٌ إِلَى نِسَاء ، وَكَثُرْنَ عَلَيَّ ، حَتَّى كَأَنَّهن مَعِي فِي الْبَيْتِ.

كما أشار إلينا صاحب البرزنجي في قوله: ولما تم من حمله على الراجح تسعة أشهر قمرية وآن للزمان أن ينجلي عن صداه، حضر أمه ليلة مولده آسية

ومريم في نسوة من الحظيرة القدسية ، فأخذها المخاض فولدته صلى الله عليه وسلم نوراً يتلألأ سناه.

وكما قال شيخ عبدالرحمن صوفي والدنا في لاميته:

أَكْرِمْ بِهَا حِيْنَ آنَ وَضْـعُهَا رَأَتِ الْـ ـــحُورَ الْحِسَانَ وَأَمْلَاكـًا أَتَوْا جَذَلَا

ومَـرْيَـمَ ابْـنَـةَ عِـمْـرَانَ وَآسِــيَـةَ وطَائِراً صَــارَ شَــابَّـًا أَغْيَدَ اعْتَدَلَا

ولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يوم الإثنين بلا خلاف الثاني عشرة منه على الصحيح والصحيح أن ولادته كان نهاراً لما روي عنه لما سئل عن يوم الإثنين فقال صلى الله عليه وسلم (ذاك يوم ولدت فيه. أو قال أنزل عليّ فيه).

ورحم الله الإمام البوصيري حيث بين لنا هذا اليوم بقوله في همزيته:

يَوْمَ نَـالَـتْ بوَضْـعـه ابْنَـةُ وَهْـب مِنْ فَخَـار مَـا لَـمْ تَنَلْـهُ النّسَــاءُ

ووضعته أمه صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل القبلة ساجداً لله تعالى واضعـًا يديه على الأرض رافعـًا رأسه إلى السماء مشيراً لرفعته كما روى ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ثم أخذ قبضة من التراب -إشارة إلى أنه يملك الأرض كلها. وروى أيضـًا أن آمنة قالت: (ثم وضعته فما وقع كما تقع الصبيان ، وقع واضعـًا يديه على الأرض رافعـًا رأسه إلى السماء) رواه ابن حبان في صحيحه.

وروى أيضـًا عنها ، قالت: ولدته جاثيـًا على ركبتيه ينظر إلى السماء ، ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً مرسلاً في سجوده صلى الله عليه

وسلم عند وضعه . إشارة إلى أن مبدأ أمره والقرب. قال الله تبارك وتعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) رحم الله صاحب البرزنجي أشار لنا هذا المعنى في قوله: وَبَرَزَ صَلَّى اللهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ الْعَلِيَّةِ مُومِيًا بِذٰلِكَ الرَّفْعِ إِلٰى سُؤْدَدِهِ وَعُلَاهُ، وَمُشِيْرًا إِلٰى رِفْعَةِ قَدْرِهِ عَلٰى سَائِرِ الْبَرِيَّةِ وَأَنَّهُ الْحَبِيْبُ الَّذِيْ حَسُنَتْ طِبَاعُهُ وَسَجَايَاهُ.

وولد مقطوع السرة لما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال (ولد النبي مختونـاً مسروراً)، ولد مختونا لما روى الطبراني عن أنس بن مالك قال: من كرامتي على ربي أني ولدت مختونـاً مطيباً أي طيب الرائحة. لما روى عنها، قالت: ثم نظرت إليه وإذا به كالقمر وريحة كالمسك الأذفر ، مطهرا أى نظيفا ليس عليه من أقذار الولادة، كما ورد عن أمه أنها قالت : ولدته نظيفـاً ما به قذر مكتحلاً ومدهونـاً لرونق جسمه وليونته ونعومته. كما أشار صاحب البرزنجي في قوله: وُلِدَ صلّى الله عليه وسلّم نظيفـاً مَختُونـاً مَقْطُوعَ السُّرَّةِ بيَدِ القُدْرة الإلهيَّة طَيباً دَهِينـاً مَكْحولةً بكُحْلِ العناية عيناه.

وكما أشار لنا والدنا شيخ عبدالرحمن صوفي في قوله:

بَرَزَ مِنْ بَطْنِهَا مَقْطُوعَ سُرَّتِهِ مُطَهَّراً مُدْهَناً بِالخَتْنِ مُكْتَحِلَا

رافِعَ رَأْسِهِ إِيمَاءً لِرِفْعَتِهِ رَامِقَ طَرْفٍ إِلَى السَّمَاءِ مُبْتَهِلَا

ووَاضِعًا لِيَدَيْهِ الأَرْضَ مُعتَمِدًا مَصْحُوبَ نُورٍ أَنَارَ السَّهْلَ والْجَبَلَا

ووقع وقت ولادته خوارق تأسيساً لنبوته منها حرست السماء وحفظها عن وصول الشياطين إليها لما كانوا لا يحجبون عنها ويدخلون ويسترقون السمع برمي الشهب المفسد عقولهم. لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها مما سيقع في الأرض ، فيلقونها على الكهنة ، فلما ولد عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات ، ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم حجبوا عن السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطيء أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق ومنهم من تخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري. كما أشار لنا صاحب البرزنجي في قوله: وظَهَرَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوَارِقُ وَغَرَائِبُ غَيْبِيَّةٌ، إِرْهَاصًا لِنُبُوَّتِهِ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ مُخْتَارُ اللهِ تَعَالٰى وَمُجْتَبَاهُ فَزِيْدَتِ السَّمَاءُ حِفْظًا وَرُدَّ عَنْهَا الْمَرَدَةُ وَذَوُو النُّفُوْسِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَرَجَمَتْ نُجُوْمُ النَّيِّرَاتِ كُلَّ رَجِيْمٍ فِيْ حَالِ مَرْقَاهُ.

وكما قال جدنا شيخ صوفي:

مِنِ اسْتِماعِ الشَّيَاطِينِ السَّمَا حُرِسَتْ   بِالشُّهْبِ وَالرَّجْمِ للرَّجِيمِ مُخْتَبِلَا

ومما وقع من العجائب: قربت الكواكب من النبي صلى الله عليه وسلم مضيئة ومشرقة تعظيماً وتكريماً له كأنها ساقطة عليه من شدة الدنو . روى البيهقي والطبراني وابن عبدالله عن عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبدالله أنها قالت: لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع

عليّ. كما قال صاحب البرزنجي رحمه الله: وَتَدَلَّتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرِيَّةُ، وَاسْتَنَارَتْ بِنُوْرِهَا وِهَادُ الْحَرَمِ وَرُبَاهُ.

كقول صاحب الهمزية رحمه الله:.

وَتَـدَلَّـتْ زُهْـرُ الـنّـجـوم إلـيْـه   فَـأَضَــاءَتْ بضَــوْئهَـا الأرْجَـاءُ

ومما وقع من الغرائب التي ظهرت عند ولادته: أن النبي لما ولد خرج معه نور أضاء له قصور قيصر بالشام رأى ذلك من كان داخل مكة لما روى عن أمه صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام. وما روى عن ابن سعد أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر. وفي رواية الشفاء أم عبدالرحمن قالت: فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت بعض قصور الشام . لذا قال صاحب البرزنجي: وخرج معه نور أضاء له قصور الشام القيصرية فرأى من بطاح مكة داره ومغناه.

وكقول صاحب الهمزية رحمه الله:

وَتَراءَتْ قُصُــورُ قَيْصَــرَ بـالرّوم   يـرَاهَــا مَــنْ دَارُهُ الـبَـطْـحَـاءُ

ومن الغرائب التي وقعت عند ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليها وكان ذلك أول علامة رأتها قريش من مولده وانشقاق إيوان كسرى الذي رفع طوله إلى مائة ذراع وعرضه خمسون ذراع، وبسبب إنصداع ذلك الإيوان وتحركه سقط منه أربعة عشر من شرفاته العالية فسبب ما صاب من الوبال والهوان تفرقت وتشتت أمر مملكتهم خوفاً من

المصائب النازلة بهم والكرب العظيم الذي حل فيهم. أشار لنا هذا المعنى صاحب البرزنجي: وَانْصَدَعَ الإِيْوَانُ بِالْمَدَائِنِ الْكِسْرَوِيَّةِ الَّذِيْ رَفَعَ أَنُوْ شَرَوَانَ سَمْكَهُ وَسَوَّاهُ وَسَقَطَ أَرْبَعٌ وَعَشْرٌ مِنْ شُرُفَاتِهِ الْعُلْوِيَّةِ وَكُسِرَ مُلْكُ كِسْرٰى لِهَوْلِ مَا أَصَابَهُ وَعَرَاهُ.

وكقول صاحب الهمزية:

وَتَدَاعَي أيوانُ كسْرَي وَلَوْلاَ   أيَةٌ منْكَ مَا تَدَاعَي البنَاءُ

وكقول والدنا شيخ عبدالرحمن صوفي:

إيْوَانُ كِسْرَى تَدَاعَى وَتَساقَطَ مِنْ   شُرَّافِهِ أَربَعٌ وَعَشَرٌ بِعُلَا

ومن العجائب التي ظهرت عند ولادته: خمود النار التي يعبدونها الفارسيون لظهوره وإضاءة وجهه. أشار لنا هذا المعنى صاحب البرزنجي في قوله: وَخَمَدَتِ النِّيْرَانُ الْمَعْبُوْدَةُ بِالْمَمَالِكِ الْفَارِسِيَّةِ لِطُلُوْعِ بَدْرِهِ الْمُنِيْرِ وَإِشْرَاقِ مُحَيَّاهُ. وكقول صاحب الهمزية:

وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ   كُرْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبَلاَءُ

ومن العجائب التي ظهرت عند ولادته غارت بحيرة ساوة وذهبت مائها في الأرض حتى لم يبق فيها قطرة ماء وسال الماء حتى كثر التي سماوة لم يوجد فيها قبل ماء يبل لنهاة العطشان. كما قال صاحب البرزنجي في قوله: وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ وَكَانَتْ بَيْنَ هَمَذَانَ وَقُمٍّ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجَمِيَّةِ، وَجَفَّتْ إِذْ كَفَّ وَاكِفُ مَوْجِهَا الثَّجَّاجِ يَنَابِيْعُ هَاتِيْكَ الْمِيَاهِ وَفَاضَ وَادِي سَمَاوَةَ وَهِيَ مَفَازَةٌ فِيْ فَلَاةٍ وَبَرِّيَّةٍ لَمْ يَكُنْ بِهَا مِنْ قَبْلُ مَاءٌ يَنْقَعُ لِلظَّمْآنِ اللَّهَاةِ.

وكما أشار لنا صاحب البردة في قوله:

وَسَـاءَ سَـاوَةَ انْ غَاضَـت بحيْرتهَا وَرد وَاردهَـا بـالْغَيْظِ حيْنَ ظَمِي

ورأى رجل من اليهود يقال له عامر وزوجته وعندها بنت معاقة لا تستطيع القيام وكان أبوها يعبد صنمًا ويضع بنته ويقول: هذه بنتي فداوها وعافها ولما علم أن الصنم لا ينفع ولا يضر ويئس منه قال لزوجته: لابد من إله خالق فبينما هما على سطح منزلهما إذ شاهدا نوراً قد طبق الآفاق وملأ الوجود الضياء والإشراق ورأى الملائكة صافين وبالكعبة حافين ورأى الجبال والأشجار تميل وسمع منادياً ينادي: قد ولد النبي الهادي ونظر إلي صنمه وهو منكوس قد علته الذلة وجاءه العكوس ثم سمع صوتاً منه يقول: إن النبأ العظيم قد ظهر وولد من تشرف به الكون.

وهو النبي المنتظر الذي يخاطبه الشجر وينشق له القمر وذكر بعض من معجزاته وكانت بنته المقعدة أسفل الدار قائمة فانتبهت وهي معهما قائمة فقالت: يا أبت كنت نائمة فرأيت نوراً أمامي وشخصاً قد أتاني فقلت له: ما هذا النور؟ فقال: هذا نور سيد ولد عدنان الذي تعطرت الأكوان بمولده فقلت: ما اسمه؟ فقال: محمد وأحمد يرحم العاني ويعفو عن الجاني ، فقلت: من أنت أيها المخاطب؟ فقال: أنا ملك من الملائكة توسلي به في عافيتك فتوسلت به إلى الله عز وجل فاستيقظت وأنا صحيحة قوية فعلمت أني شفيت بجاهه ثم سار عامر وزوجته وابنته إلى مكة فسألوه عن دار آمنة حتى طرقوا عليها الباب فقالوا: أرنا هذا المولود فقالت: إني أخشى عليه من اليهود فقالوا: قد فارقنا في حبه أوطاننا وتركنا ديننا فلابد من رؤيته، فأدخلتهم

عليه فلما رأوا نوره ذهلوا وكبروا وهللوا فلما كشف عن وجهه الغطاء أشرق نوره فسلموا عليه وقبلوا يديه ، فقالت لهم آمنة: أسرعوا فإن جده عبدالمطلب قد قلدني الأمانة أن أخفيه عن أعين الناس وأكتم شأنه فوضع عامر يده على قلبه وشهق شهقة فعجل الله بروحه إلى الجنة هذا أحوال المحبين وصفات العاشقين.

كما أشار والدنا الشيخ صوفي في قوله:

وَقَدْ رَأَى عَـامِرٌ وزَوْجُهُ عَـلَـنـًا   نُـوراً أَنَـارَ وَعَـمَّ الْأُفُقَ مُـنْسَـدِلَا

ثُمَّ الوُجُودَ مَلَا ضَـوْءَاً بِلَيْلَتِهِ   ثُـمَّ مَـلائِـكَـةً رَآهُـمُ جُـمَـلَا

حَفُّوا بِكَعْبَةِ مَوْلَانَا كَذَا الشَّـجَرَة   تَـمِيـلُ مَـيْلاً رَآهَـا وَرَأَى الـجَـبَلَا

تَسْـجُدُ عَنْ سَـطْحِ بَيْتِهِ رَأَى وندَا   يَـقُـولُ قَـدْ وُلِـدَ الـنَّـبِيُّ فَـاقْـتَـفَـلَا

لِلصَّـنَمِ الرِّجْسِ صَـاتَ قَدْ بَدَا النَّبَأُ   الْعَظِيمُ والْمُرْسَلُ الْـمُنْتَظَرُ انْفَصَلَا

شمائله صلى الله عليه وسلم:

وكان أتم الناس الذين هم أحسن المخلوقات خلقـًا وخُلُقـًا كما قال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) فهو مطهر الذات ومنزهـًا من كل عيب صورها الله تعالى على أحسن صورة فكأنها خلقت كما تشاء، وكان معتدل القامة لا بالطويل المفرط ولا بالقصير المفرط، وعند البيهقي وابن عساكر: لم يكن يماشيه أحد من الناس إلا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب إلى الربعة في خصائص ابن سبع إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، جعل الله له هذا في رأي العين معجزة خصه الله بها لئلا

يرى يفوق أحد عليه بحسب الصورة وكان لونه أبيض أي ليس شديد البياض مخلوط بحمرة ، لما روي عن عائشة رضي الله عنها وأبيض مشرب بحمرة وفي الصحيح عن أنس: لم يكن بالأبيض الأمهق وكالشمس لإشراقه وإضائته لما روى البخاري عن الربيع بنت مسعود: لو رأيته لقلت الشمس طالعة بل كان صلى الله عليه وسلم أكمل منها رفعة وضوءًا لأن نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم يمحوه.

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم إذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع السراج إلا غلب ضوءه ضوء السراج.

وكان واسع شق العينين وفي حدقته سواد طويل الهدب أو كثيره ومقوس الحاجبين مع طول وامتداد كما في رواية أم معبد (كان أزج أقرن) أو اتصال شعر الحاجبين وفي حديث هند بن أبي هالة (أزج الحواجب سوابغ في غير قرن)

أشار لنا هذا المعنى صاحب البرزنجي في قوله:وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا ذَا ذَاتٍ وَصِفَاتٍ سَنِيَّةٍ، مَرْبُوعَ الْقَامَةِ، أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشَرَّبًا بِحُمْرَةٍ وَاسِعَ الْعَيْنَيْنِ أَكْحَلَهُمَا، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ قَدْ مُنِحَ الزَّجَجَ حَاجِبَاهُ.

وكما قال جدنا عبدالرحمن صوفي:

مُقَدَّسُ الذَّاتِ مَوْصُـوفٌ بِأَحْسَـنِ خِلْـ ــــقَةٍ كَمَا خُلْقُهُ فِي النَّاسِ قَدْ كَمُلَا

كَالشَّـــمْسِ أَبيَضُ مُشْـــرَبٌ بِحُمْرَتِهِ وَأَزْهَرُ اللَّوْنِ رَبْعُ الْقَـدِّ مُعْتَـدِلَا

وكان صلى الله عليه وسلم متباعداً بين الثنايا عظيم الفم أحسنه وهو محمود إيماء إلى قوة فصاحته وسعة بلاغته، وكان واسع الجبهة وسعة الجبهة محمود عند كل ذي عقل سليم وكان وجهه يهلهل لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هبط عليّ جبريل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت نور وجهك من نور عرشي، وكان سهل الخدين وكان مرتفع الأنف ارتفاعاً وسطا فيه حسن. وأشار لنا صاحب البرزنجي: مفلج الأسنان إلى حسن العرنين أقناه.

وكان عريض أعلى الظهر ورحب الكفين والمراد أن كفه وأصابعه طولا غير مفرطٍ وهو محمود في الرجال ويذم في النساء. قال بعض العلماء رحب الكف دليل الجود وصغرها دليل البخل، كان عظيم الكراديس والكردوس كل عظمين التقيا في مفصل نحو الركبة والمنكب والورك والمرفق وكان قليل لحم العقب وفي رواية الترمذي: منهوس العقب في معناه ، وكان عظيم اللحية والمراد كثير شعرها من غير طول فيه، وكان عظيم الرأس دال على كمال القوى الدماغية وليس من عظمهما أنها مفرطة في الكبر بل إنها كبيرة كبرا نسبياً لأن كبير مفرط دليل على البلادة وقلة الفهم وصغير المفرط دليل

لقلة العقل والخفة، كان شعره إلى أنصاف أذنيه كما في الصحيحين: إلى أنصاف أذنيه. كما قال البرزنجي: بَعِيْدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ، سَبْطَ الْكَفَّيْنِ، ضَخْمَ الْكَرَادِيْسِ، قَلِيْلَ لَحْمِ الْعقِبِ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، عَظِيْمَ الرَّأْسِ، شَعْرُهُ إِلَى الشَّحْمَةِ الْأُذُنِيَّةِ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وقد ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وكان عرقه في الصفاء والبياض كاللؤلؤ ورائحته التي تشم منه أشد طيباً من المسك كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة قال علي رضي الله عنه(كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم اللؤلؤ ولريح عرقه صلى الله عليه وسلم أطيب من المسك الأذفر) وكانت أم سليم والدة أنس رضي الله عنهما تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم وتجعله في الطيب فقال: يا أم سليم ما هذا؟ قالت: عرقك أدوف به طيبي أو في رواية: نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب.

أشار لنا صاحب البرزنجي في قوله: وبين كتفيه خاتم إلى عند من النفحات المسكية.

كانت مشيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيةَ رجلٍ مليءٍ حيويةً ونشاطًا، ولذلك كانت أقرب إلى السرعة منها إلا الإعتدال، كمٍا وصفه الواصفون.

ففي صحيح مسلم عن أنس قال: "كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفَّأ.

وعند أبي داود عن لقيط بن صبرة، أنه أتى عائشة يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده، فلم ينشب أن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلع، يتكفأ

وعند الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما انحطَّ من صبب".

وعن أبي الطفيل قال: "كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما يهوي من صبوب".

وكان صلى الله عليه وسلم إذا صافحه الرجل وجد ريحه (أي تبقى رائحة النبي عليه الصلاة والسلام على يد الرجل الذي صافحه)، وإذا وضع يده على رأس صبي، فيظل يومه يُعرَف من بين الصبيان بريحه على رأسه.

ما جاء في اعتدال خَلقِه صلى الله عليه وسلم:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر"، أخرجه الطبراني والترمذي في الشمائل والبغوي في شرح السنة وابن سعد وغيرهم.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "كان رسول الله أحسن الناس وجهـًا وأحسنهم خَلقـًا"، أخرجه البخاري ومسلم.

الشيخ قاسم شيخ أحمد عثمان الشاشي